

«الثورة الصفراء».. «قوة الشعب الأولى»

أنهت 20 عاماً من ديكتاتورية ماركوس في الفلبين

بشعار «ارحل».. واللون الأصفر



التي أعلنت أنه حاز 53٪ من الأصوات ونال 10 ملايين و807 آلاف صوت مقابل 9 ملايين و291 ألفاً لاكينو. وبالمقابل أعلنت الأخيرة فوزها استناداً لحسابات لجنة «التيار الوطني من أجل انتخابات حرة» التي أظهرت أنها حصلت على 52٪ من الأصوات، حيث نالت 7 ملايين و835 ألف صوت مقابل 7 ملايين و53 ألف صوت لماركوس.

احتدمت الأزمة ولم يجد مويديو اكينو والمتطلعون إلى الخلاص من نظام البلاد سوى النزول إلى الشارع.

أخذ الأمر طابعاً جدياً في 22 فبراير عندما أعلن وزير الدفاع خوان أنريلي ونائب رئيس الأركان فيديل راموس في مؤتمر صحافي أن ماركوس يحاول «سرقة الفوز» وأكد أنهما من الآن فصاعداً يعترفان باكينو رئيسة شرعية للبلاد.

وتوجه الجنرال إلى مقر عسكري في ساحة «إيفانغو دي لوس سانتوس» المعروفة بساحة «ادسا»، محاطين بمئات العناصر من مؤيديهما وكانا يتوقعان انقضاء من القوات الحكومية بقيادة الجنرال فيرلاندو إنغرايا كان أعيد منصبه عام 1985 بعد تجميد صوري إثر اتهامه باغتيال اكينو للقبض عليها، لكنهما لم يكونا يعلمان أن لحظة الإنقاذ ستأتي من خلال الكنيسة الكاثوليكية التي استطاعت أن تحرك ثورة «قوة الشعب الأولى» عندما دعا بطريرك مانيلا الكاردينال جاي مي سين في بيان إذاعي الشعب إلى دعم الثوار في ساحة «ادسا» وتأمين كل ما يحتاجونه من دعم وتأييد واحتياجات.

وبالمقابل دعا ماركوس في مؤتمر صحافي كلا من أنريلي وراموس الذي سيخلف اكينو في رئاسة البلاد عام 1992 رغم أنه الرئيس الوحيد غير الكاثوليكي في تاريخ الفلبين لتسليم نفسه.

تفاعل الشعب مع دعوة بطريرك وراح راديو الكنيسة المعروف بـ «فيرلاندو» بوجه الثوار في العاصمة والأقاليم وكان له دور كبير في تجمع مليوني شخص خلال ساعات في ساحة «ادسا»، وحاولت السلطة متاخراً أن تعطل بث الإذاعة، لكن المسؤولين عاجزوا الأمر بالبحث عن موقع آخر. سادت ساحة «ادسا» أجواء وطنية واحتفالات صاخبة ورافقتها نغمة عالية مبهجة ومهتمة بالحدث الكبير الذي راحت وسائل الإعلام الغربي تجدها وتحببها وتعتبرها دروساً في التحرك الديموقراطي حتى للغرب ولا أميركا نفسها.

شعار «L»

وضع المظاهرون الشارات الصفراء التي كانوا قد وضعوها في ماتم اكينو ورفعوا شعارات «L» ومعناه «leave»، أو «ارحل» بالسلبية والإبهام في إشارة إلى التمسك بالانتصار، وكانوا طوال الوقت يرددون الأغاني الوطنية.

وفي هذه الأجواء قررت اكينو الحضور إلى مانيلا لمواجهة المظاهرين الذين رفضوا الانصياع إلى رجال الأمن فاستخدم هؤلاء قنابل الغاز ورفقوا بالألوف منهم ولكن ما لبث المظاهرون أن عادوا إلى التجمع. وما زاد الأمر سوءاً أن الهليكوبترات التي كلفت بالسيطرة على مقر الثوار في وسط الساحة هبطت وانضمت إلى الشعب في المطالبة ماركوس بالتناحي. أطل ماركوس على التلفزيون ليخاطب الشعب في 24 فبراير وخلال إلقاء كلمته سيطر مويديو الفورة على القناة الـ 4 وانقطع البث قليلاً، ثم بث الثوار، وبتوا بياناً قالوا فيه إن التلفزيون الرسمي عاد مجدداً في خدمة الشعب.

أنت اكينو القسم في مقابل تادية ماركوس للقسم أيضاً لكن الأمور كانت تذهب في صالحها مع مرور الساعات.

أجرى ماركوس اتصالات مع الرئيس رونالد ريغان وطلب مساعدته على المغادرة وبالفعل ترك السلطة بعد 20 عاماً لتدخل البلاد مرحلة جديدة وغادرت مع ماركوس عائلته وفي طليعتها زوجته المتفيرة للجدل اميلدا ماركوس التي عرفت بحبها للمجوهرات والملابس والأحذية الفاخرة والتي كثر الحديث عنها في وسائل الإعلام ومازالت نموذجاً للبخذ حتى اليوم.

احتاح الناس قصر «ملاكايغ» الرئاسي، بعضهم أقدم على سرقة ما تيسر وآخرون ذهبوا لمجرد تأمل المكان الذي اديرت منه بلاههم بأسوأ طريقة ممكنة طيلة 20 سنة. تولت كورازون اكينو الرئاسة وأهدت الإنجيل الذي أقسمت عليه إلى والده زوجها الراحل لتحتفظ به. أسهمت في تعديل الدستور والقيام بدراسة تشريعية مهمة خلال ولايتها وقامت بإصلاحات زراعية وصناعية مهمة للحد من الأزمة الاقتصادية التي مارلت تلاحق الفلبين حتى اليوم.

تعرضت لأكثر من 7 محاولات انقلاب واغتيال كبيرة وبعضها أدى لمقتل وجرح المئات. في عام 1992 قررت عدم الترشح لولاية ثانية ودعمت ترشح خلفها الجنرال فيديل راموس رغم معارضة الكنيسة الكاثوليكية لكون راموس بروستانتياً. وبالفعل كان أول رئيس غير كاثوليكي يحكم الفلبين.

تركت كورازون التي كانت تعرف باسم «كوري» السلطة بسيارة «تويوتا» خاصة بها بدلاً من سيارة الرئيس الرئاسية بعد حفل تسليم بينها وبين راموس في إشارة إلى أنها عادت إلى حياتها المدنية العادية. حفل عهد راموس كما عهد كوري اكينو بالكثير من المشاكل التي مهدت للثورة الثانية في عهد الرئيس المنير للجدل جوزيف استرادا والتي سنتحدث عنها غداً.

القضاء انريكي فرناندو بالتحقيق في الاغتيال، لكن اللجنة تعرضت لانتقادات شديدة للهجة، ما أجبر الرئيس على تشكيل لجنة أخرى مستقلة، واصلت التحقيق ومع ذلك رفضت العديد من الشخصيات الوطنية والدينية المشاركة فيها.

بعد سنة من التحقيقات واستدعاء 193 شاهداً أدلوا بمعلومات في 20 ألف صفحة، أصدرت اللجنة تقريرين اتفقا على اتهام الجيش بالوقوف وراء الاغتيال، لكن الأغلبية سمت الجنرال فابيان فير رئيس الأركان وأحد المقربين من الرئيس ماركوس، وأكدت ضلوعه في العملية، أما الأقلية فاتهمت ضباط آخرين، وسرب أعضاء من اللجنة معلومات عن تلقيهم تهديدات من ماركوس نفسه إذا اتهموا الجنرال فير، لكنهم رغم ذلك استمروا على موقفهم.

زادت قضية اغتيال اكينو من حرجية وضع ماركوس الذي في ظل الضغوط الدولية، وتردى الأوضاع الاقتصادية في البلاد التي كانت تشهد تقليصاً في الناتج الوطني عاماً بعد عام، لم يجد بداً للتهديت الأمور سوى الدعوة إلى انتخابات مبكرة في 1986 قبل عام من انتهاء ولايته. وقد حصل على دعم وتمويل كبيرين لحملته من الزعيم الليبي معمر القذافي، بينما توحدت المجموعات الإسلامية في مناطق كاتابونان وزامبونغا ومرابي ضدّه بقيادة الزعيمين نور مسواري وسلامات ماشم.

قررت كورازون اكينو (أرملة بينينيو اكينو) خوض الانتخابات ضدّه وشهدت البلاد منافسة حادة في الانتخابات التي أجريت في 7 فبراير 1986.

ومع انتهاء فرز الأصوات أعلن كل من الطرفين فوز: ماركوس استند إلى لجنة الانتخابات الرسمية



ماركوس مخاطباً الجماهير



تشويه تمثال ماركوس



ثورة ألهمت العالم

تشكل كل من ثوري «قوة الشعب» الأولى المعروفة بالثورة الصفراء والثانية محطتين مهمتين ضمن حركات النضال الشعبي في القرن العشرين سواء الانظمة التوتاليتارية او الفاسدة وقد افضت كل من الثورتين السلمييتين المذكورتين الى تغيير الرئاسة في بلد مهم في جنوب شرق آسيا هو الفلبين، ارجيل الجزر الذي يقطنه اليوم نحو 94 مليون نسمة وأحدثنا تأثيراً واضحاً في أسلوب الثورات المشابهة التي تلت كلا منهما..

في حلقة اليوم نتحدث عن ثورة «قوة الشعب» الأولى ولونها الأصفر نسبة إلى الشارات الصفراء التي رفعت خلالها والتي وقعت عام 1986 وأنهت حكماً دام 20 سنة للرئيس فرديناند ماركوس أحد أشهر شخصيات القرن الماضي، والذي كانت تربطه بقيادة دول العالم في زمان حكمه علاقات وطيدة في الشرق والغرب.

وصل ماركوس إلى الحكم عام 1965، درس المحاماة ودخل معتزك السياسة منذ السنوات الأولى لشبابه وانتخب نائباً من 1949 إلى 1959 وسيناتورا بين 1959 و1965.

بدأ ماركوس ولايته الرئاسية الأولى بخطاب بث الأمل في أرجاء الفلبين خاطب فيه شعبه قائلاً أنه بأسف أن بلاده وصلت إلى ما وصلت إليه من مراحل الضعف بعد طغيان الفساد والجشع وتقديم المصلحة الخاصة على المصلحة العامة وتحويل الحكومة إلى وسيلة للإثراء غير المشروع على حساب الوطن والشعب حتى دخلت البلاد في أزمة خانقة بعدما فرغت خزائن الدولة وتبددت مواردها.

كان للخطاب وقع إيجابي على الناس التواقّة للتغيير. بدأ ماركوس هذه بانجازات مهمة في مجال مشروعات البنية التحتية والجسور والكهرباء وطلب من القوات العسكرية المشاركة فيها، كما توسع في السياسة الخارجية للبلاد لإعطاء موقع قوي وفعال لبلاده على الساحتين الإقليمية والدولية، ولكن سرعان ما تبين سعيه الذؤوب للسيطرة على القوات العسكرية والمشاريع الاقتصادية الكبرى في البلاد عبر تعيين اقاربه وشبكة أصدقائه المقربين في المراكز الحساسة.

في 1969 كان ماركوس اول رئيس ينتخب لولاية ثانية في تاريخ الفلبين، مؤيدوه ردوا ذلك الأمر إلى الإنجازات التي حققها ومعارضوه أرجعوه إلى عمليات شراء الأصوات والتزوير الواسع النطاق الذي شهدته الانتخابات الرئاسية.

خلال الولاية الثانية واجه ماركوس مشاكل كبيرة، فعلى المستوى الاقتصادي انفجرت معدلات التضخم بسبب الإنفاق الحكومي الكبير ما اثر على القدرة الشرائية للعملة الوطنية (البيزو)، كما تأثرت الفلبين إلى حد كبير بارتفاع أسعار النفط العالمية نتيجة للصراع العربي - الإسرائيلي ولجوء العرب إلى قطع الإمدادات.

وعلى المستوى السياسي شهدت البلاد عودة قوية لأحزاب وحركات اليسار، إضافة لتضاعف التوتر في مناطق الثوار في جنوب البلاد.

كما انفجرت الحركات الطلابية المطالبة بإصلاحات واسعة بدءاً بالتعليم وانتهاء بالحريات السياسية. ارتفعت معدلات الجرائم بشكل كبير وأصبحت المظاهرات والاحتجاجات والأضرابات وحركات العصيان امراً معتاداً ولم تخل الكثير منها من احداث العنف، كل هذه الظروف دفعت بماركوس إلى الانحוח نحو تشديد قبضته على الاقتصاد والعسكر، ولم يجد بداً من إعلان الأحكام العرفية في البلاد وتعديل الدستور عام 1973 على مراحل، حيث نقلت صلاحيات رئيس الوزراء إلى الرئيس نفسه لتدخل الفلبين رسمياً في اطار حكم ديكتاتوري رغم وجود بعض المحاولات لإضفاء ديموقراطية صورية عبر تعيين الرئيس لهيئات تشريعية تساعد في ادارة البلاد، واعتباراً من 1972 كان يقوم بتحويلات مالية ضخمة من بلاده إلى مصارف بالخارج.

لم تجر انتخابات تشريعية في ظل الأحكام العرفية المستمرة حتى 1978 وقد فاز حلفاء ماركوس في السلطة. في 1981 رفع الرئيس الأحكام العرفية ودعا لأول انتخابات في 16 يونيو أسفرت عن فوزه بولاية رابعة بـ 88٪ من الأصوات، وقد قاطعتها أحزاب المعارضة.

أعلن ماركوس عن ولادة «الجمهورية الجديدة» واعدت بتغييرات سياسية واقتصادية، لكن الهوة بينه وبين المعارضة والشعب كانت قد بلغت حداً كبيراً تصعب معالجته. وما زاد من تلك الهوة ما حصل في 21 أغسطس 1983 عندما تعرض السيناتور المعارض بينينيو اكينو الثاني (والد الرئيس الحالي بينينيو اكينو الثالث وابن رئيس مجلس الشيوخ بينينيو اكينو الأول للاغتيال بالرصاص وهو على سلم طائرة العودة من منفاه في الولايات المتحدة، حيث قضى 3 سنوات. كان ماركوس قد أمر باحتجاز اكينو 7 سنوات بسبب حدة معارضته وسمح له بعد اضرابه عن الطعام بمغادرة البلاد في 1980 لكن الأخير قرر العودة للنضال من أجل بلده رغم تحذيرات المقربين من ماركوس وبينهم زوجته اميلدا له فاغتيال في مطار مانيلا الذي يحمل اسمه اليوم.

حضر جنازة اكينو نحو مليوني مواطن وزادت الضغوط على الرئيس الذي وجهت الي جماعته أصابع الاتهام بالوقسوف وراء الاغتيال بينما كان هو يتهم جماعات اليسار وتحديدا الحزب الشيوعي بالجريمة لرغبتهم في التخلص من منافسة اكينو الشعبية لهم، فكفل ماركوس قضاة كباراً على رأسهم رئيس مجلس

• بقلم: محمد الحسيني



لم يجد الفلبينيين

أمام تزوير الانتخابات

واستمرار الديكتاتورية

سوى النزول إلى

ساحة إدسا مدعومين

من الإعلام العالمي



7 ثورات الربيع

من صراع القوميات الذي تصاعد إلى حربين عالميتين، إلى صراع الأيديولوجيا الذي أدخل العالم في حرب باردة بين «الجبارين»، وصولاً إلى ما يسمى بعصر القطب الواحد والعولمة، شهد العالم ثورات وانتفاضات شعبية لن تُنسَى لاسيما تلك التي اتسمت بالطابع السلمي.

بعد انتصارها في الحرب الباردة واجهت الولايات المتحدة عمليات استهداف معادية من جماعات إسلامية سبق أن دعمتها أميركا في حربها الضروس ضد الاتحاد السوفييتي في أفغانستان. وصلت حركة طالبان إلى السلطة في أفغانستان عام 1994، ووفرت ملاذاً آمناً لتنظيم «القاعدة» الذي أسسه أسامة بن لادن بين عامي 1988 و1989 أعلن حربه رسمياً على الولايات المتحدة، وأولى عملياته البارزة كانت محاولة تفجير برج التجارة العالمي في 1993، ثم استهدف السفارتين الأمريكيتين في تنزانيا وكينيا عام 1998، قبل أن ينفذ هجمات 11 سبتمبر التي كرسست عملياً نظرية كان قد أطلقها استاذ العلوم السياسية صامويل هنتنجتون عام 1993 عن «صراع الحضارات» اعتبر فيها أنه بعد الحرب الباردة ستكون المواجهة الأعنف على أساس الحضارة، مستعرضاً عدداً من المواجهات المحتملة للحضارة الغربية مع الاسلام والحضارتين الصينية والاندوكية (الهندية).

مسار الأحداث والصراع بين «القاعدة» والغرب أعطى النظرية زخماً منقطع النظير ودارت نقاشات مطولة، غالباً ما كانت تنتهي إلى أن المجتمعات الإسلامية ممانعة بحضارتها وموروثاتها للديموقراطية، مستشهدين بالثورة الإيرانية التي لم تقض إلى ديموقراطية بمفهومها الغربي رغم سلميتها، واستبعد كثير من الخبراء وبينهم هنتنجتون أن يشهد العالم العربي ثورات شبيهة بتلك الثورات التي حررت دول أوروبا الشرقية قبل وبعد سقوط جدار برلين وتفكك الاتحاد السوفييتي.

رحل هنتنجتون عام 2008 قبل 3 سنوات من أحداث اجتاحت فجأة العالم العربي فيها الكثير من سمات الحركات التحررية والديموقراطية السلمية التي سبق ان شهدها الغرب بدءاً من أحداث 1968 في فرنسا إلى ربيع براغ ثم سقوط الجدار، كما لم يشهد قبل وفاته أحداث النرويج في 22 يوليو 2011 والتي تؤكد أن اليمين المسيحي ليس بأقل طرفاً من اليمين الإسلامي. ارجاء كثيرة من العالم العربي المسلم بغالبيته شهدت خروج ملايين الشباب إلى الشوارع بحماس منقطع النظير، بدأ في تونس وامتد إلى دول أخرى تحت شعار «الشعب يريد إسقاط النظام» مستفيدين من ثورة التكنولوجيا القادمة من الغرب والإعلام الجديد الذي قدمته شبكة الإنترنت.

قوبلت الثورات بترحيب غربي وبذلت الدول الغربية وسفاراتها جهوداً كبيرة على غرار تلك التي بذلتها في نهاية الثمانينيات في أوروبا الشرقية. وحاولت مساعدة الثوار في أكثر من حالة كان أوضحها ليبيا على تشكيل سلطة مؤقتة بديلة تتولى المرحلة الانتقالية خلال وبعد سقوط النظام.

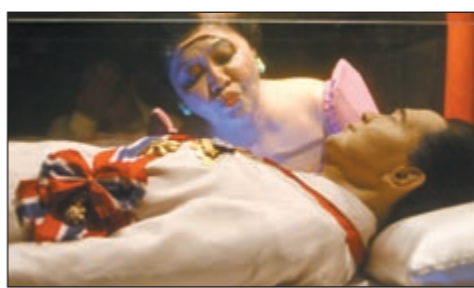
بمناسبة ما أطلق عليه «الربيع العربي» نستعيد بالذاكرة بعض الثورات المشابهة في أوروبا والعالم خلال العقود الماضية منها الثورة المخملية في تشيكوسلوفاكيا والثورة الوردية في جورجيا والبرتغالية في أوكرانيا وثورة التوليب في قيرغيزيا وثورة البلدوزر في صربيا وثورة الغناء في دول البلطيق، إضافة إلى بعض تجارب القرن الماضي في مجال النضال السلمي للحركات التحررية وصولاً إلى الثورات العربية.



ماركوس وزوجته مع الرئيس الأميركي ليندون جونسون وزوجته في البيت الأبيض عام 1966



وامام مبنى البرلمان



مجلس يمثل ثورة الشعب التي اطاحت بسلطة الرئيس ماركوس عام 1986